صحيح انه ، كما يقال ، عندما تجد نفسك تتكلم لغة خصمك فلا بد من أن تجري مراجعة عامة . لكن الاهم اولا ان تكون لك لغتك الخاصة قبل ان تبدأ بالمراجعة او بالاطلاع على لغة الخصم نفسه . لذا اعتقد انه بات من واجب الحركة الوطنية الفلسطينية ، كمسألة ملحة في الوقت الحاضر ، ان تبادر الى صياغة برنامج مرحلي ، يحدد الحد الادنى من المطالب الوطنية الفلسطينية في هذه المرحلة ويحدد سقف التنازلات التي يمكن ان تقبل من أي طرف عربي تقديمها ، وان تبادر بعد ذلك الى اجراء الاتصالات اللازمة مع الاطراف العربية الوطنية لاخذ التزام جماعي ومتضامن للعمل على تحقيق هذه الاهداف في هذه المرحلة ، وكذلك الحوار مع الطرف الدولي الصديق ليتضامن بدوره مع هذا البرنامج ويلتزم به . بعد ذلك يصبح اي تحرك سياسي يخيف ، ويقيم اي أسلوب من اساليب العمل السياسي او التحرك السياسي وفق تقديرنا لما يقدمه لهذا المخطط من خدمة او ما يمكن ان يلحق به من اضرار ، ونكون بذلك قد أعدنا الحوار الى وضعه المنطقي ، نحدد الهدف ثم بعد ذلك نختار ما يناسب لتحقيق هذا الهدف من اساليب . وبغير ذلك فان انغماسنا في مناقشة حضور او عدم حضور مؤتمر جنيف سيقود في تقديري الى مزيد من التمزقات المجانية التي تتضمن الضرر المحض ولا تتضمن أية فائدة، وربما يجرنا ايضا الى تقديم تغطية مجانية لما يمكن ان يقدم عليه بعض الاطراف العربية من تنازلات في مقابل مكاسب ثانوية. فكما هو واضح يحاول المخطط الاميركي الاسرائيلي أن ينتزع مكسب انهاء حالة الحرب في مقابل عملية الفصل بين القوات فقط ، وليس في مقابل الانسحاب الكامل والاستجابة او لتنفيذ القرارات المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني او الاستعداد لتنفيذها .

طبعا اتحدث هنا عن المرحلية ، لان اي حركة سياسية مسؤولة وواقعية لا بد ان تأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار . واذا جاز أن نستفيد من الدروس التي تقدمها الحركة الصهيونية ذاتها ، فأن المشروع الصهيوني ذاته كما أشار الرفيق نايف قام على مراحل وهو لا يعتبر حتى وجوده ضمن الحدود الحالية الا خطوة مرحلية تهيىء للمراحل المقبلة. ونحن حينما نطالب أنفسنا بصياغة برنامجنا المرحلي، ينبغي ان يتم ذلك في ضوء تقديرنا لطبيعة المشاكل التي يواجهها نضالنا الوطني في المستقبل ، بحيث يصبح انجازنا المرحلي او تحقيق برنامجنا المرحلي ، محطة صالحة للانطلاق منها الى انجاز المرحلة اللاحقة او المرحلة التالية من مراحل نضالنا الهادفة الى انجاز الهدف الستراتيجي المتمثل في انهاء الوجود الصهيوني ذاته . ان الوجود الصهيوني لم ينشأ نتيجة معركة واحدة ، ولم يخلق في مرحلة واحدة ، بل خلق او تكامل تكوينه عبر عدد من المراحل ، وعبر خوض عدد من المعارك. وهكذا فان انهاءه ايضا لا بد ان يمر بالحلقة نفسها. وأنا مع الاخ شفيق عندما أشار الى ان تفكيرنا بانهاء الوجود الصهيوني بضربة واحدة او بعملية واحدة هو نوع من الرسوبات الموروثة عن المراحل السابقة التي تعايشت معنا منذ عام ١٩٤٨ عندما كان الكيان الصهيوني لا يزال هزيلا ولا يزال غير قادر على الصمود فيما لو توفرت آنذاك الاوضاع العربية المؤهلة لمواجهته . من هنا ، فأن مسألة السعي لانشاء السلطة الوطنية الفلسطينية هي مسألة في صلب العمل السياسي والوطني لاي حركة مسؤولة . ان اي حركة ثورية ، أي ثورة ، لا بد ان تسعى الى انشاء السلطة ، والا فهي نوع من العبث . ان السلطة ليست ذلك الشر الذي يتلوث الثوار او يأثمون بمجرد التفكير به . ولا تكون أي ثورة جديرة بهذا الاسم اذا لم يكن هدفها في النهاية انشاء السلطة الثورية ، او انشاء السلطة الوطنية التي تستطيع ان تتابع اهداف الثورة عبر استخدام أدوات الحكم والسلطة . لكن السعي وراء انشاء سلطة قبل أن تتكامل المقومات التي تضمن لهذه السلطة البقاء او الحياة — وأنا أتحدث عن السلطة لا عن الدولة . ولا عن الارض — فانه يمكن ان ينتهي بكارثة او بخطوة تراجعية كبيرة ، تماما مثلما تتم عملية